مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 13، العدد 52 (خريف 2002)، ص 128

مجازر صبرا وشاتيلا (شهادات)**

إعداد: **ليلى شهيد براده***

كانت عائلة ف. تقيم سابقاً بتل الزعتر. بعد تدمير هذا المخيم سنة 1976، وبعد وفاة الأب وأحد الأبناء، جاءت الزوجة ومن نجا من الأولاد للإقامة بشاتيلا. واليوم لا تزال صبحية ف. تقطن في شاتيلا مع من تبقى من عائلتها: ابنتها البكر وصفية وهي أم لثلاثة أولاد؛ بناتها الثلاث الأُخريات، خديجة 22 عاماً، وسوسن 12 عاماً، وزينب 11 عاماً؛ الصبي الوحيد الباقي في قيد الحياة، عادل، 7 أعوام. كانت حماتها حاضرة في أثناء اللقاء. ثلاثة أجيال من النساء تشهد.

س: أخبريني بما حدث.

ج: "مساء الخميس كنا نجلس في البيت لمّا بدأ إطلاق القنابل المضيئة فوق المخيم. دخل علينا رجل فجأة وقال: (الكتائب يقتلون الناس). لم نصدقه وأوينا لننام. في اليوم التالي وصل شخص آخر وهو يصرخ: (الكتائب يقتلون أهالي المخيم!). شقيق زوجي، صبحي ف.، يسكن بالقرب منا، ارتدى ثيابه بسرعة وخرج ليرى ما يحدث. وجد في الشوارع القريبة عشرات الجثث والكثير من الجرحى. فقرر نقلهم إلى مستشفى عكا القريب. ذهب ليأتي بسيارته، وهناك قرب السفارة الكويتية شاهد المسلحين أول مرة، فعاد مسرعاً وهو يقول: (قوموا، قوموا، لن نبقى هنا، يجب أن نرحل). في هذه اللحظة سمعنا مكبرات الصوت تدعو الأهالي إلى التجمع في المدينة الرياضية: (إذهبوا إلى هناك وعليكم الأمان). ما إن خرجنا من المنزل حتى فاجأنا ثلاثة رجال مسلحين، فأوقفونا وقالوا لنا: (لا تخافوا، نحن من الكتائب، أنتم فلسطينيون؟) فقلنا لهم إننا لبنانيون فأجابونا بأنهم لا (يمسون) اللبنانيين. ثم اقترب أحدهم وكان متكئاً على الجدار ويلبس سروالاً كاكياً وطلب هوية أحدنا الذي أجابه: (وحياة الشيخ بشير أنا

(**) **المصدر:** *Revue d'études palestiniennes*, no. 6, hiver 1983, pp. 89-112.
يتضمن المقال ست شهادات مقتطفة من تحقيق واسع أجرته الكاتبة مع الناجين من مجزرة صبرا وشاتيلا، وتأريخاً مفصلاً للأحداث التي وقعت داخل صبرا وشاتيلا بين 15 و19 أيلول/سبتمبر 1982 بحسب إفادات الشهود.

(*) مفوضة فلسطين في فرنسا.

فلسطيني). فقال له الآخر: (إذاً أنتم جميعاً فلسطينيون. إلحقوني). بعد أن جمعوا الرجال، أي ابنيّ خالد وعمر وشقيق زوجي صبحي وجارينا أبو فريد وأبو شهاب، أمرونا بالسير. كنا خمس عائلات في هذا الحي، حرش تابت، قبالة مستشفى عكا. مشينا، الرجال من جهة والنساء والأولاد من جهة. كانوا قد شقوا طريقاً وسط المخيم من خلال فجوات فتحوها في الجدران فصرنا نمر من منزل إلى منزل. سرنا معهم هكذا لوقت طويل. فجأة طلبوا من الرجال التوقف وأمرونا بمتابعة سيرنا، فبدأنا بالبكاء والصراخ، فقالوا لنا: (إذا تابعتم الصراخ نقتلكم أنتم أيضاً). ما إن تجاوزناهم ببضعة أمتار حتى سمعنا الطلقات النارية فأدركنا أنه قضي علينا ورحنا نصرخ من جديد. فقال لنا أحدهم: (ماذا تعتقدون، إنها فوضى؟ نحن لا نقتل الناس، نستجوبهم ثم نحاكمهم). كنا نرجوهم ونطلب منهم: (كرمال الله، كرمال النبي محمد لا تقتلوهم). وهم يجيبوننا: (قتلتم الشيخ بشير). فحلفنا لهم أن لا علاقة لنا بهذا الاغتيال، حتى إننا قلنا: (الله يقتل اللّي قتله... نحنا مسالمين ولا سلاح لدينا، نستسلم من دون مقاومة، لماذا تفعلون بنا هذا؟) فقال أحدهم: (ما في الله ولا في محمد، نحن الله ومحمد، مشّوا يا بنات الـ...)، وراح يشتمنا. سرنا حتى وصلنا إلى بيت فيه فجوة كبيرة. هناك رأيت دبابة والإسرائيليين. كانوا داخل المخيم قبالة السفارة الكويتية. قالوا: (خذوهم إلى المدينة الرياضية). لكنني تمكنت وكذلك تمكن الآخرون من رؤية حفرة عميقة مملوءة بالجثث. كانوا يقتلون الناس ويرمون جثثهم في الحفرة. الحفرة كانت بجانب السفارة الكويتية على امتداد الطريق. قبل أن يسمحوا لنا باستئناف المسير أوقفونا بالصف، وغمز أحد المسلحين رفيقه قائلاً: (إختر واحدة تستحق أن نذبحها). فأجابه رفيقه: (لا نريد قتلهن الآن). وأمرونا بالسير حتى المدينة الرياضية. هناك، أرغمنا ثلاثة عناصر مسلحين في سيارة جيب على العودة أدراجنا، فرحنا نشتكي من تناقض الأوامر. قطعنا المسافة مرتين بين السفارة الكويتية والمدينة الرياضية. في أحد الأوقات انفجر لغم أو قنبلة انشطارية في طريقنا، فوقع جرحى وأُطلقت النار علينا. كان الجميع يفرون في مختلف الاتجاهات. نحن ركضنا في اتجاه الجامعة العربية. التقينا في طريقنا سيارة فأوقفناها. كانوا مصورين أجانب، وبينهم واحد يتكلم العربية. صورونا وسألونا ماذا يجري. فقلنا لهم إن هناك مجزرة، لكنهم رفضوا تصديقنا. قلنا لهم إننا أول الناجين الذين خرجوا من المخيم. كنا في صباح يوم الجمعة، نحو السادسة صباحاً."

س: كيف عرفتم أن أولادكن قتلوا، فقط من سماعكم الطلقات النارية؟

ج: "ذهب ابن عمي في اليوم التالي للبحث عن الأولاد وعن عمهم فلم يجدهم.

واطمأن بعض الشيء لأنه لم يعثر على جثثهم. لكنه سمع أزيز الرصاص فانتابه الخوف وفر مسرعاً. من بعدها وصفتُ له تماماً المكان الذي افترقنا فيه عنهم فقصده في اليوم التالي، وكان يوم أحد، فوجد جثثهم جميعاً. كانوا أبعد قليلاً عن المكان الذي تركناهم فيه، بالقرب من بيت وردي اللون. أوقفوهم صفاً من ستة على امتداد الجدار. ستة رجال... وقتلوهم. ابني عمر أطلقوا عليه رصاصة في وجهه وضربوه بالفأس. عمه صبحي لقي المصير نفسه. ابني الثاني خالد بقي متكئاً على الجدار وكانت ذراعيه مفتوحتين كأنه حاول المقاومة. لم يتعرف عليهم ابن عمهم لفرط ما شنعوا بهم. عرفهم من ثيابهم."

س: كم ولداً لدى شقيق زوجك؟

ج: "ست بنات وثلاثة صبيان. البكر في السابعة عشرة، ووالدهم في الثالثة والأربعين، ويعمل بنّاء."

س: وولداك؟

ج: "خالد في التاسعة عشرة وعمر في الخامسة عشرة، يعملان في حرفة التلحيم."

س: كم كان عمر ابنك الأول عندما قتل في تل الزعتر؟

ج: "16 عاماً، ولكان بلغ الثانية والعشرين اليوم. بعد تل الزعتر سكنا في الدامور بعض الوقت ثم جئنا إلى هنا، إلى شاتيلا، ونقيم به منذ أربعة أعوام."

كان عادل الصغير، البالغ من العمر سبعة أعوام، حاضراً المقابلة لكنه كان يرفض الإجابة عن الأسئلة. يلتصق بأمه ولا يتكلم. كان مع عائلته يوم جاء عناصر الميليشيا لأخذهم. كانت معنا أيضاً حماة صبحية، جدة الأولاد. عمرها سبعون عاماً وهي التي آوتهم. أتوجه إليها بالسؤال:

س: متى جئتم إلى شاتيلا؟

ج: "سنة 1948، جئنا من حيفا. كانت الأرض هنا مزروعة شجر توت. أقمنا عند أحد أبناء عمي. ثم رفض مدير المخيم* السماح لنا بالبقاء في شاتيلا. فقال أحدهم لزوجي: (لا تبقَ هنا، إنهم يقيمون مخيماً جديداً في تل الزعتر). قادنا إليه ليدلنا على المكان. ماذا أقول لك؟ تل الزعتر كان ملآناً بالشوك والأفاعي. بكيت لمّا رأيت حالة المكان، فقلت لزوجي المسكين: (أترك بيتي لأسكن هنا مع الأفاعي!). هناك خيم على الأقل في شاتيلا، أمّا في تل الزعتر فلا شيء. مدير المخيم كان يدعى أبو يوسف. أقمنا

(*) كانت الأونروا هي التي تهتم بشؤون المخيمات، وهي التي تعيّن مسؤولين عنها.

هناك مع الأولاد: سليم، زوج صبحية الذي قتل هناك؛ ابني صبحي الذي قتل هنا؛ ابني عرفه وابني عبد وابني عوض الصغير، الذي كان في الشهر الثالث من عمره آنذاك. كان لديّ بنت أيضاً تزوجت فيما بعد. عند وصولي إلى تل الزعتر كان عندي خمسة صبيان وبنت. ثم قامت الأونروا بتشييد البيوت، ماذا أقول لك عنها؟ مع احترامي لك فإنها تشبه الزرائب أكثر من البيوت. لكننا كنا مضطرين إلى السكن فيها، إذ لم يكن أمامنا خيار آخر. كانت في الصيف حريق، وفي الشتاء غريق. أقمنا بها. أعطونا غرفة واحدة في البداية، كنا ثمانية أشخاص فأمضينا ثلاثة أعوام على هذه الحال، ثمانية في غرفة واحدة. ثم بدأوا توسيع البيوت وأعطونا غرفتين. بنى زوجي سوراً صغيراً وأمضينا هناك 25 عاماً حتى مذبحة سنة 1976. زوّجت أبنائي في هاتين الغرفتين. سليم وعرفه وصبحي. ثم سكن كل منهم مع عائلته. أحسن أولادي الاختيار، وأنا أتفاهم جيداً مع زوجاتهم. توفي زوجي وفاة طبيعية. كان يملك مقهى لسائقي الشاحنات في المكلس، بالقرب من المخيم. بعد موته أقفلنا المقهى."

س: ماذا كان يعمل في فلسطين قبل التهجير سنة 1948؟

ج: "كان صياداً. كنا نعيش في يافا في حي العجمي من المدينة القديمة. كان يملك مركباً هربنا على متنه من يافا خلال الحرب. كانوا يقصفون المدينة من قرية البيرة. خفنا وغادرنا يافا مباشرة قبل دخول الصهيونيين."

س: يا صبحية، كيف مات زوجك وابنك البكر في تل الزعتر؟

ج: "بعد حصار دام 54 يوماً فرضه الكتائب على المخيم، استسلم السكان. كانوا يقولون لنا: (سلّم تسلم). كما حدث هنا. قُتل زوجي وابني أمام الصليب الأحمر الدولي الذي كان ينظم عملية إجلائنا. كان ابني محمد في السادسة عشرة من العمر، وكان أصيب في فخذه فحملته إلى سينما فوزي في الدكوانة على بعد كيلومترات من المخيم. على الطريق أخذوا زوجي وأطلقوا عليه النار أمامي. سقط على وجهه أرضاً. تركت ابني وهرعت إليه فوجدته ميتاً. رجعت لأحمل ابني الجريح فلم أجده. كان معي عشرة أولاد. محمد المصاب كان البكر. فقدته في اللحظة التي قتلوا فيها أباه. رحت أجمع الآخرين، كانوا منتشرين في زوايا الشوارع. كان عمر عادل سبعة أشهر، وضعته على الرصيف وركضت وراء الآخرين. التقطته أختي، وأنا وجدت شاباً مصاباً فحملته. ساعدني الله. أخذوا والده وأعدموه في النهر. تمكنت من العثور على أولادي وأقمنا بالدامور مع الناجين من تل الزعتر. بقينا هناك عاماً واحداً ثم جئنا للإقامة بشاتيلا. أولادي الذين قتلوا هنا كانوا سندي الوحيد. لم يعد لديّ سوى ابن واحد في السابعة من العمر وأربع بنات. البكر متزوجة وعليها الاعتناء بأولادها الثلاثة، والثانية مصابة

بداء الصرع. أمّا الأُخريين، فواحدة في الثانية عشرة والأُخرى في الحادية عشرة."

س: ألم تخافي عند الاجتياح الإسرائيلي لبيروت؟

ج: "يوم اغتيال بشير الجميل شعرنا بأن شيئاً رهيباً سيحدث. كنا نمضي الليلة في منطقة الحمراء عند أقارب لنا. كان أولادي أحياء وبرفقتنا. صباح اليوم التالي اجتاح الجيش الإسرائيلي المدينة. بحثوا عن المقاتلين ولم يضايقوا المدنيين. فقلنا إن في إمكاننا العودة إلى بيتنا. عدنا إلى شاتيلا الخميس، وصباح الجمعة جاء رجال مسلحون لأخذنا عند السادسة صباحاً."

خليل أحمد لبناني. يوم المجزرة كان يمضي الليلة عند أمه القاطنة في صبرا. اقتيد كسائر الرجال إلى المدينة الرياضية وأُطلق في وقت لاحق. كانت مدرجات المدينة الرياضية تستخدم للاعتقال والتحقيق.

س: أين كنت عندما اجتاح المسلحون المخيم؟

ج: "كنت عند أمي في مخيم صبرا، قبالة مستشفى غزة. أنا أسكن في الغبيري قرب مقبرة الشهداء. عند اشتداد القصف أرسلت زوجتي وعمي إلى أحد الأحياء الهادئة، وتوجهت إلى صبرا عند أمي. وكنت أذهب من وقت إلى آخر لأتفقد منزلي وأرى إن كان أصيب بالقصف. قبل أيام كان الجيش اللبناني أقام مركزاً له قريباً من البيت، فبادرت مع بعض الجيران إلى طلب حمايتهم. قلنا لهم: (لماذا لا تدخلون المخيم لمنع العناصر الغريبة المسلحة من التسلل إليه؟) فأجابونا أنهم تلقوا الأوامر بالانسحاب، وفعلاً اختفوا في اليوم التالي. كنا يوم الأربعاء، في 15 أيلول/سبتمبر. يوم الخميس في 16، كنت أمضي الليلة عند أمي. كانت قد شاعت أخبار مخيفة بأنهم يقتلون الناس في المخيم. لكننا لم نصدقها. كان الحي يعج بالناس الذين يحملون معهم الأخبار نفسها."

س: من كان هؤلاء الناس؟

ج: "فلسطينيون من مخيم شاتيلا، هاربون من أحيائهم. آوينا منهم قدر المستطاع في الطبقة السفلية من المبنى، لكن الأغلبية غادرت عند الفجر. كانوا نساء وأطفالاً ومدنيين. رأينا تلك الليلة مئات القنابل المضيئة تطلق في سماء المخيم. خلدنا إلى النوم على الرغم من ذلك، من دون أن نعرف ماذا يحدث. صباح السبت، الساعة السادسة والدقيقة الثلاثين تقريباً، قال لي ابن أخي: (يا عمي، وصل الإسرائيليون، إنهم في الخارج). نهضت مسرعاً لأكلمهم وأوضح لهم أن لا وجود إلاّ للمدنيين، وأننا غير مسلحين. أردت التحدث إليهم بلطف وتهذيب لاعتقادي أنهم جيش نظامي لا يريد إيذاء المدنيين. صرخ بنا أحد الجنود عند مدخل البناية: (أخرجوا، أخرجوا جميعاً من البناية). فقلت للجيران: (تعالوا، تعالوا، إنهم الإسرائيليون، لن يؤذونا). عند اقترابنا

منهم رأينا على بزاتهم الأرزة اللبنانية وعبارة (القوات اللبنانية) بالعربية. عندها توقفنا عن المجادلة، فطلبوا منا التوجه إلى الساحة. وبما أننا كنا في ساحة صبرا لم نتحرك، فصرخوا بنا: (ليس هنا، الساحة الأُخرى، هناك). كانوا يعاملوننا بفظاظة وعنف، يشتموننا وهم يدفعوننا إلى التقدم. ولمّا اعترضنا بالقول إننا لبنانيون سألونا: (ماذا تفعلون عند الفلسطينيين؟) فأخبرناهم أننا نسكن في الحي وأن هذه بيوتنا، فقالوا: (إنها غلطتكم، كان عليكم طرد الفلسطينيين)، فأجبناهم: (وكيف نطردهم؟ إنهم يسكنون هنا. وإلى أين نطردهم؟). جمعونا في الساحة قبل أن يأمرونا بالمسير مجدداً. كان بيننا عجز ونساء وأطفال. بعض المسنين لم يعودوا قادرين على السير فاضطررنا إلى حملهم. ومن لم يكن يمشي بسرعة كان يتلقى ضربة بكعب البندقية. كان ثمة نسوة تحمل كل منهن ولدين معاً، وقد حاول بعض الفلسطينيين إعطاء أولادهم إلى اللبنانيين لكن الجنود رأوهم وانتزعوا منهم الصغار. عند مرورنا بالمخيم شاهدنا الجثث منتشرة، والموتى في كل مكان... عندها أدركنا أن شائعات الليلة السابقة كانت صحيحة. صدقناها أخيراً لأننا رأينا الجثث بأم العين، جثث كبار السن خاصة، رجال تجاوزوا الخمسين من العمر. رأينا الجرافات تعمل. كان هناك أعضاء بشرية لا تزال معلقة بأسنان الجرافة، أرجل، أحشاء، والجرافات تزيل أكوام الجثث. سرنا حتى مدخل المخيم. قال لنا الجنود: (الرجال من جهة والنساء من جهة). فرحنا نصرخ: (ماذا تنوون أن تفعلوا بنا؟ نحن لبنانيون، ماذا تريدون أن تفعلوا بنا؟). فكانوا يردون علينا بالشتائم: (يا اولاد الـ... ما قصّرتوا معنا). وكنت أقول لهم: (لكننا لبنانيون)، فيجيبون: (ولماذا تسكن بينهم؟ أصبحت لبنانياً الآن؟ يا ابن الـ...). أوقفونا في الصف وساروا بنا نحو السفارة الكويتية. وفي الطريق كانوا يمسكون أحدنا ويرمونه أرضاً، يرغمونه على وضع وجهه في الرمل ويديه فوق رأسه. ثم يركض أحد العناصر وهو بدين الجسم ويقفز فوق ظهر الرجل الممدد أرضاً فيصرخ من الألم. ثم يعاودوا الكرة مع شخص آخر."

س: هل كان أحدهم يختار الذين يخرجون من الصف؟

ج: "كلا، أبداً، يختارون كيفما اتفق. أعرف شاباً قال، من سوء حظه، إن لا مقاتلين بيننا فانهالوا عليه بالشتائم: (يا ابن الـ...، ما عدت تعرف أحداً الآن؟) كان مع المسكين سلسلة من الذهب وحمالة مفاتيح فانتزعوهما منه. وكان أمامي رجل مسن يمشي بصعوبة، فضربني أحد الجنود بقبضته قائلاً: (أسرع)، فلم أرد حتى إنني لم أنظر إليه خشية أن يرميني أرضاً ويدوسني. رأيت أربعين حالة من هذا النوع، كانوا يقفزون على ظهورهم وهم يكررون أنهم سيحطمون لهم عمودهم الفقري... على طول الطريق

رأينا عناصر (القوات اللبنانية) في سيارات الجيب وكانوا يشتموننا ويصرخون بنا مثل قطيع الغنم أو البقر. كنا في حالة خوف شديد، نتوقع أن يطلقوا النار علينا عند أدنى اعتراض من قبلنا. عند وصولنا إلى السفارة الكويتية سلمونا للإسرائيليين."

س: هل كان الجنود الإسرائيليون يشاهدون ما يجري؟

ج: "طبعاً، فالجيش الإسرائيلي كان يحتل السفارة الكويتية المشرفة على المخيم ومنها يمكن رؤية المدخل والطريق التي اقتادونا عبرها بوضوح. ابتداء من السفارة الكويتية تسلمنا الإسرائيليون فأمرونا بالسير في الصف. سألناهم إلى أين يأخذوننا فقالوا: (سترون)، وهم أيضاً كانوا يشتموننا. وقد انفجرت قنبلة في الطريق إلى المدينة الرياضية. لا أعرف ما إذا كانت لغماً أم قنبلة. سقط نحو عشرة بيننا، ثلاثة منهم لم ينهضوا مجدداً بينما أصيب الباقون بجروح. صرخ بنا الجنود اللبنانيون أن ننبطح أرضاً، وكان الجرحى النازفون يهرعون في مختلف الاتجاهات. كان الجنود يطلقون النار والجرحى يركضون. نحن بقينا منبطحين أرضاً. ثم طلبوا منا الوقوف والسير مجدداً، فاعترضنا قائلين: (هناك ألغام ولا نريد أن تنفجر بنا)، فصرخ بنا الجنود: (يا اولاد الـ...، تعرفون إذاً بوجود الألغام هنا). فقلنا: (لا، لا نعرف، لكن أحد الألغام انفجر للتو). رآنا الجنود الإسرائيليون المتمركزون في الجوار فأرادوا مساعدة الجرحى، لكن عناصر (القوات اللبنانية) حاولوا منعهم وطلبوا منهم الابتعاد. أخذوا معهم الجرحى الذين في حالة الخطر، واضطر الباقون إلى السير."

س: كم كان عددكم؟

ج: "ألفان تقريباً في البداية، لكن وصل منا إلى الملعب نحو 1300 شخص. الباقون قتلوا أو اقتيدوا، لا أعلم إلى أين، بواسطة شاحنات. وهناك الذين انفجر بهم اللغم. بالقرب من نادي الفروسية قبل الوصول إلى المدينة الرياضية، حاول البعض الهرب خلف كثبان الرمل. لكن الإسرائيليين نادوهم بمكبرات الصوت: (لا تهربوا، سيمسك بكم رجال سعد حداد ويقتلونكم. إبقوا هنا وسنختم لكم أوراقكم). كنا نشعر بالعطش والجوع والتعب جرّاء وقوفنا منذ ساعات. كانت الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين، وعدونا بتقديم الماء والطعام عند وصولنا إلى المدينة الرياضية، وقالوا إن من الأفضل لنا أن نبقى برفقتهم لأنهم لا يمكنهم حمايتنا من العناصر اللبنانية المسلحة. وافقنا على مرافقتهم في النهاية، وفي الملعب جلبوا لنا صهريج ماء. كان الجنود الإسرائيليون يتفرجون بإعجاب على نتيجة القصف الذي قاموا به. ثم أعطونا خبزاً بسكر، لكن الكمية لم تكن كافية. رغيف خبز لكل 20 شخصاً تقريباً، ثم طلبوا من المسنين العودة إلى المخيم وجلب الشبان الذين بقوا فيه. هكذا حضر نحو 100 شخص

على أمل أن تختم بطاقاتهم فلا يتعرضون للتوقيف.

"ثم بدأوا يأخذون الرجال للاستجواب، واحداً واحداً. الضابط الذي استجوبني كان ملتحياً ويضع نظارة. سألني عن اسمي وجنسيتي وديانتي. كان ضابطاً إسرائيلياً، لكنه يتكلم العربية باللهجة الفلسطينية. بما أني لبناني تركوني وشأني، بينما راحوا يستجوبون الفلسطينيين. وكانوا يقتادون الشبان منهم والمتيني البنية إلى جهة مجهولة. ثم رجعوا برفقة واحد منهم راح يشي بمن لهم علاقة بالفدائيين، أو بمن حمل منهم السلاح. أمّا الذين وشوا بهم، وقد بلغ عددهم 25 أو 30 تقريباً، فقد اقتادوهم. لا أعرف ماذا كان مصيرهم. في الساعة الثانية والدقيقة العاشرة تقريباً، قالوا أنهم سيطلقوننا وسيعفون عنا، حتى لو كنا (إرهابيين). ثم أطلقونا من دون أن يختموا أوراقنا. عثرتُ على زوجتي التي كانت تنتظرني في الخارج وهي تبكي. عدنا إلى منزلنا في الفاكهاني كي لا نمر أمام السفارة الكويتية."

س: والآخرون؟

ج: "اختلفت مصائرهم. وقد أخبرني جاري السمان، الذي خرج معي من المخيم، أنهم رموه أرضاً هو وابنه وأشبعوهما ضرباً. سألته كيف نجا، فقال إنهم أرادوا إصعادهم في إحدى الشاحنات. كانوا يملأون شاحنتين لكن لم يبقَ مكان للجميع، فطلبوا من الفائض الالتحاق بالآخرين في المدينة الرياضية.* وأخبرني شخص آخر أنهم اقتادوهم إلى غرفة تحت مدرجات الملعب وضربوهم بالسياط."

س: وزوجتك؟

ج: "حضرت مع ما يقارب 60 امرأة لاصطحابنا من المدينة الرياضية. انتظرن طويلاً عند المدخل، إذ كان الجنود يمنعونهن من دخول الملعب. كن يبكين لأنهن لم يعرفن ما إذا كنا لا نزال في قيد الحياة. في أثناء انتظارهن وصل أحد الضباط الإسرائيليين بسيارة جيب وقال لهن: (التي تسلمنا مقاتلاً من حيها نطلق لها زوجها). فقلن له طبعاً إن لا مقاتلين في المخيم. عندها طلب الضابط منهن الانتظار."

أم أحمد فرحات هي أم لعشرة أولاد. قتل أربعة منهم وكانوا على التوالي في سن العام والعامين وستة أعوام وثلاثة عشر عاماً. كذلك قتل زوجها. ابنتها البالغة الثامنة عشرة أصيبت بشلل دائم. أم أحمد نفسها أصيبت برصاصتين في ظهرها، لكنها استأنفت عملها في البيت غداة المجزرة. وقد تحدثت بصعوبة، ولم تتمكن من كتم

(*) أولئك الذين نقلوا بالشاحنتين لم يُعثر لهم على أثر. لم يُعرف عددهم، ولا يوجد أي دليل على أنهم لا يزالون أحياء.

دموعها.

س: ماذا حدث يا أم أحمد؟

ج: "كنا نائمين في الغرفة أنا وزوجي وثمانية من أولادنا. كان معنا أيضاً جارنا الذي جاء ينام عندنا بسبب القصف الذي جرى نهاراً. قرابة الخامسة صباحاً، وصلت مجموعة من المسلحين وأمرونا بالخروج. خرجنا بثياب النوم وكل واحد منا يحمل طفلاً كان بقربه. لديّ أطفال صغار بعمر عام وعامين. ما إن خرجنا حتى سألوا زوجي عن جنسيته، فقال أنه من فلسطينيي الـ 48** وأنه يعمل في إصلاح التلفونات. قال لهم أيضاً إن لديه إعاقة في إحدى ذراعيه. فرفع العنصر المسلح رشاشه ليضربه وهو يشتمه ويقول له (إنك إرهابي). ثم أمرنا بالاستدارة صوب الجدار من دون أن ننظر يميناً أو يساراً. بعدها أطلق علينا عدة رشقات. أنا كنت أحمل ابني البالغ من العمر عامين فسمعته يقول (يا با) قبل أن تنفجر جمجمته. وأنا تلقيت رصاصتين في كتفي. ما زالت آثار دماغه على الحائط، ودماغ أخته الصغيرة أيضاً والتي كانت على كتف أختها الكبيرة التي أصيبت برصاصة في رأسها."

س: ما عمر أولادك؟

ج: "ليلى كانت الصغرى، عمرها عام واحد. من بعدها سامي عمره عامان، وفريد ستة أعوام، وباسم ثلاثة عشر عاماً. كذلك قتل زوجي وهو في السابعة والأربعين. الباقون جرحوا مثلي أنا. أغمي عليّ، ولمّا عدت إلى وعيي كان الرجال المسلحون قد انصرفوا. كان جرحي ينزف بقوة. ابنتي البكر كانت مصابة وغير قادرة على السير. الأُخرى، سلوى، كانت مصابة أيضاً لكنها تستطيع الحركة. الباقون ماتوا جميعهم. نهضنا أنا وسلوى وتمكنا من السير في اتجاه المستشفى. شاء الله أن نلتقي فتاة في الطريق ساعدتنا في الوصول إلى المستشفى عبر الأزقة تفادياً للعناصر المسلحة. قدموا لنا الإسعافات الأولية في مستشفى غزة، ثم سرت شائعات عن وصول رجال سعد حداد أو الكتائبيين إلى المقهى غير البعيد عن المستشفى. فقررت مغادرة المستشفى مهما يكن الثمن. تذكرت ابنة أخي التي لجأت إلى أحد المستشفيات في صيدا لكن الإسرائيليين دمروه على من فيه. فررت مع ابنتي. حملتها على ظهري وأنا أنزف، لكنني صممت على ألاّ أنتظرهم. احتمينا بمدخل إحدى البنايات. وبينما كنت أنتظر أن يتوقف النزيف تعرّف علينا شاب من معارف ابني وقدم لنا العون."

(**) فلسطينيو 48 هم الذين استقروا بلبنان بعد حرب 1948. وبحسب اتفاقيات فيليب حبيب، فإن لهم الحق في البقاء في لبنان.

س: والآخرون؟

ج: "سعاد، ابنتي البكر والمصابة بجروح خطرة، بقيت ممددة أمام البيت حتى وصول المسعفين صباح السبت فحملوها على نقالة. بقيت تنزف طوال يوم الجمعة وليل الجمعة/السبت. لم يكن أحد قادراً على مساعدتها لأنهم كانوا لا يزالون يرتكبون المجازر. إنها لا تزال في المستشفى. العدد الأكبر من الطلقات أصابها في عمودها الفقري، ويقول الأطباء إنها ستبقى... مشلولة..."

انكسر صوت أم أحمد، وسالت دموعها ببطء.

"سعاد نشيطة جداً، تقوم بكل أعمال البيت. لا أجرؤ على زيارتها، لا أجرؤ على النظر إليها وأكذب عليها."

س: هل لديك أولاد غيرهم؟

ج: "نعم، شابان في التاسعة عشرة والعشرين من العمر، وصبيان في الثامنة والثانية عشرة."

س: أين كانوا عند وقوع المجزرة؟

ج: "الكبيران كانا في البيت بعد ظهر يوم الخميس وشاهدا من الشرفة مجموعات مسلحة تنزل من التلة المشرفة على المخيم. هرعا لإخبارنا فطلب منهما والدهما أن يذهبا ويمضيا الليلة عند شخص في بيروت لأن الإسرائيليين يتهمون الشبان دائماً بأنهم مقاتلون. أمّا نحن فاعتقدنا أنه بما أننا مدنيون ونساء وأطفال فإن الإسرائيليين لن يلحقوا بنا الأذى. الصبيان بقيا لكنهما اختبآ في الحمام، ولمّا خرجا وجدا أن والدهما وإخوتهما قتلوا. ثم اقتادهما رجال مسلحون."

س: (إلى الصبي في الثامنة من العمر) إلى أين أخذوكم؟

ج: "إلى السفارة الكويتية، وبعدها إلى المدينة الرياضية. فصلوا اللبنانيين عن الفلسطينيين. أخذوا الشبان وقتلوهم. وقالوا لنا إننا إذا تفوهنا بكلمة واحدة سيقتلوننا واحداً واحداً."

[.....]

س: وبعد ذلك؟

ج: "بعد ذلك، أطلقونا فذهبت إلى أقارب لنا قرب المخيم حيث وجدت أمي."

أم محمد: "يستيقظ كل ليلة ويسأل عن والده."

س: كيف ستعيشون؟

ج: "كان معنا بعض المال، سبعة آلاف ليرة. خبأناها مساء الخميس مع

حفاضات الطفل لاعتقادنا أننا إذا اضطررنا إلى الهرب نحملها معنا."

س: ألم تسمعوا شيئاً في الليلة السابقة؟

ج: "نعم، سمعنا أصوات أنين. كان الأولاد يشاهدون التلفزيون عند الجيران فطلبت منهم العودة إلى البيت. كان هناك قنابل مضيئة في السماء. كنا نخاف الخروج لمعرفة ما يحدث. ما كان يجب أن نثق بالجيش الإسرائيلي، فلقد نجح في إخفاء الفظائع التي ارتكبها في مخيمات الجنوب، في الرشيدية وعين الحلوة وبرج الشمالي. هناك أيضاً ارتكبوا مجازر بحق الناس، ونحن لم نكن على علم. لكن بعد ذلك جاء أقاربنا من الجنوب وأخبرونا. لديّ أقارب في برج الشمالي. دفنوا الناس أحياء في الملاجئ، واستخدموا الغازات السامة أيضاً. لكنهم نجحوا في إخفاء ذلك كله عن الرأي العام الدولي."

إبراهيم موسى في الثلاثين من العمر. كان يسكن في مخيم شاتيلا مع زوجته الشابة وأولاده الثلاثة. عائلته قضت في المجزرة، وهو نجا بأعجوبة. أصيب بعشر رصاصات تقريباً، والبعض منها لم يستخرج من جسمه بعد. حاوروناه في المستشفى حيث يعالج.

س: ماذا تتذكر بالتحديد؟

ج: "استفقت صباح الأربعاء على صوت الطائرات يمزق عنان السماء. اعتقدت أنهم متوجهون إلى البقاع فقصدت مركز عملي بالقرب من المخيم. هناك بدأت الأخبار تتواتر: (الإسرائيليون عند مستديرة الكولا)، (وصلوا إلى الجامعة العربية). رجعت مباشرة إلى البيت وبقيت فيه طوال اليوم مع زوجتي وأولادي. عند المساء كان الإسرائيليون قد طوقوا المخيم. صباح الخميس حلق الطيران مجدداً على علو منخفض فوق المدينة ملقياً الرعب في نفوس السكان. فقررت عدم الذهاب إلى العمل. كان المخيم يتعرض لطلقات متفرقة من المواقع الإسرائيلية. بدأ القصف في الساعة الرابعة من بعد الظهر. أنزلت زوجتي وأولادي إلى الملجأ على بعد أمتار من البيت. تعرفين، البيوت في شاتيلا غير متينة فقلت إن الملجأ يكون أكثر أماناً لنا. كثيرون فعلوا الشيء نفسه. وضعنا النساء والأطفال في الأسفل، وبقي الرجال والمسنون في الأعلى. كان الملجأ يشهد حركة مد وجزر مستمرة. يأتي الناس وعندما يشاهدون العدد الفائض يذهبون للبحث عن ملجأ آخر. كان هناك نحو 150 شخصاً في هذا الملجأ، الذي يبلغ طوله أربعة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار، أغلبيتهم من النساء والأطفال.

"الساعة الخامسة بعد الظهر تقريباً، سقطت قذيفة في الجوار أصيبت بها جارتنا وهي حامل فنقلوها إلى مستشفى غزة. بدأت تصلنا أخبار التقدم الإسرائيلي. فقلنا

إننا نستسلم بصفة أسرى مدنيين. وشاعت أخبار عن مجازر ترتكب في المخيم. قرابة السابعة والدقيقة الخامسة عشر سمعنا صراخاً لكننا لم نخاطر بمغادرة الملجأ. كان أولادي نياماً. عند السابعة والدقيقة الثلاثين نادى صاحب البناية على الرجال ليخرجوا من الملجأ. عند المدخل رأيت عنصراً بالزي العسكري الإسرائيلي وعنصراً آخر توجه إليّ بالسؤال: (من أنت؟) فأجبته: (أنا سمكري)، فقال: (سألتك عن جنسيتك)، فأجبته: (أنا فلسطيني). عندها قال لي أحدهم: (أخرج)، فخرجت ووجدت في الشارع عشرات الشبان والمسنين ممددين أرضاً وأيديهم فوق رؤوسهم. وكان عددهم نحو خمسين شخصاً. طلبوا مني أن أحذو حذوهم فتمددت ووجهي إلى الأرض. سمعت شجاراً بين النساء والمسلحين أعقبه رشقات نارية في الهواء وتهديدات بالقتل. ثم سمعت أحد الرجال يقول: (خذوا النساء إلى الصليب الأحمر). كنت أعرف أن لا وجود للصليب الأحمر في المخيم، لكني كنت آمل بأن يعفوا عنهن. أحببت الاعتقاد أنهم سيعفون عنهن.

"ما إن غادرت النساء والأطفال حتى أمرونا بالوقوف وبإفراغ جيوبنا. أخذوا مني محفظتي وبطاقة هويتي التي عادوا فرموها أرضاً. ثم أوقفونا صفاً إلى الحائط وراحوا يطلقون النار. عندها، وعلى بعد 25 متراً، ظهرت مجموعة من الرجال المسلحين من مخيمنا ودار الاشتباك. استفدت من لحظة الارتباك فنظرت حولي واكتشفت أني آخر الذين كانوا واقفين في الصف قبالة الجدار في حين وقع الآخرون أرضاً بين قتيل وجريح. أصابني الهلع لوهلة، ولم أعد أعرف إن كان عليّ الفرار أم البقاء. شعرت بسخونة كبيرة في رجلي وذراعي. في تلك اللحظة انفجرت قنبلة يدوية فارتميت أرضاً. اعتقدت أني مت، أو على وشك أن أموت. نظرت حولي فلم أجد المسلحين، لكن كان هناك الكثير من الجرحى والقتلى. سمعت أنيناً. صبي في الثالثة عشرة ينزف وظهره إلى الحائط، كان يختنق بالدم الصاعد إلى حنجرته. كان يسعل. ناداني جريح آخر وقال لي: (ساعدني... هل رحلوا؟) جاهدت لأحرك رجلي المصابة إذ كان عالقاً تحتها، فذهب وتركني مع الآخرين. ناداني جريح آخر يعرفني باسمي وطلب مني مساعدته، فقلت له إني مصاب أيضاً ولا أستطيع الوقوف. سألته أين أصيب فقال: (في الظهر). قلت له: (فلنتحادث على الأقل ونرى إن كنت أموت قبلك أو تموت قبلي). تحدثنا قليلاً. حاول عبثاً الوقوف والاستناد إلى الجدار. صرخ من الألم ثم تقيأ دماً وانهار. لا بد من أنه مات. أنا كنت أتمالك نفسي كي لا أصرخ. بدأ الليل بالهبوط وأنا محاط بالجثث. كان هناك باب مفتوح قرب الحائط حيث أطلقوا النار علينا. زحفت ودخلت البيت. وجدت فراشاً تمددت فوقه، وأغطية وضعتها عليّ. كنت على يقين من

أنني سأموت، ولا أريد أن تأكل الجرذان جثتي. أتذكر أن الكثير من القنابل المضيئة كان ينير السماء، لكني لم أعرف مصدره. حاولت عدم الحراك كي لا يزداد النزف. سمعت أصواتاً في الخارج، كانوا يقولون إن هناك الكثيرين من القتلى المرميين أرضاً. ثم قالت إحدى النساء: (فلنرحل قبل أن يقتلونا). ناديت طلباً للمساعدة، لكن لم ألقَ جواباً. رأيت إبريق ماء في زاوية الغرفة فزحفت نحوه وشربت. كان ذلك أشبه بالانتحار لأني أعرف أن الذين يتلقون إصابات خطرة يجب ألاّ يشربوا. لكن قلت في نفسي لنر إن كنت سأبقى في قيد الحياة. بقيت هناك طوال الليل. نزعت قميصي وربطته حول مكان الإصابة لأوقف النزف. بللت خرقة بالماء ورحت أرطب بها جبيني وشفتيّ. كنت منهكاً عند الفجر. نزفت كثيراً. فجأة سمعت أصوات أقدام تقترب. اعتقدت أن أفراد الميليشيا احتلوا المخيم بأكمله وأنهم يجهزون على الجرحى. خفت أن يعذبوني ويعبثوا بجسمي فزحفت إلى الزاوية المظلمة وغطيت نفسي بما توفر لي. قال أحدهم: (لندخل هذا البيت ربما يكون فيه أحد ما لأن هناك آثار دماء). بدأت أرتجف لاقتناعي بأنهم سيجهزون عليّ. اقترب وقع الخطوات مني وشعرت بيد ترفع عني الأغطية. فتحت عينيّ فرأيت وجهاً أليفاً، وجه رجل مسن شاهدته من قبل. فتنفست الصعداء وطلبت منه مساعدتي لأني غير قادر على الحراك. طلب مني أن أصبر لأن المسلحين لا يزالون في الجوار. عاد بعد قليل بصحبة ثلاثة آخرين وسألوني هل هناك جرحى آخرون؟ فأجبت بأني لا أعرف، فوضعوني في غطاء ونقلوني عبر أزقة المخيم. كانوا يتقدمون بحذر بسبب وجود قناصة. نقلت من يد إلى يد وصولاً إلى مستشفى غزة. هناك أخبرتهم بما حدث. وبعد أن أمنوا لي الإسعافات الأولية قالوا أنهم سيرسلونني إلى المدينة لأن المسلحين يمكن أن يهاجموا المستشفى."

س: وزوجتك وأولادك؟

ج: "جاءت أمي لرؤيتي في المستشفى فسألتها عن زوجتي وأولادي. قلت لها إني سمعتهم يتحدثون عن الصليب الأحمر. فأجابتني بأن لا وجود للصليب الأحمر في المخيم، وأنها لا تعرف مكان وجودهم. ولمّا حضرت حماتي قالت لي: (زوجتك وأولادك في صحة جيدة، إنهم مرتاحون في الجبل). لم أصدقها وقلت لها لو كانوا أحياء لكانوا زاروني في المستشفى وإذا لم تحضر ابنتها خلال 48 ساعة تكون كذبت عليّ. في اليوم التالي رأيت صورة أمي وحماتي في الصحيفة وهما تبحثان بين الجثث. عندما عادت لزيارتي شتمتها وقلت لها إنها كذبت عليّ وإني رأيت صورتها في الجريدة. فأجهشت بالبكاء وأخبرتني أن لا أثر لزوجتي وأولادي. سألتني أمي عن الثياب التي كانوا يرتدونها يوم المجزرة. كانت زوجتي ترتدي سروالاً من الجينز وابنتي فستاناً أحمر.

قالت لي إنهم وجدوا جثة امرأة يصعب التعرف عليها بسبب ما تلقته من ضربات لكن ثيابها يمكن أن تكون ثياب زوجتي. وقد عثروا على جثث الكثير من جيراننا الذين كانوا برفقة زوجتي وأولادي، لكنهم لم يعثروا على عائلتي. هناك الكثير من الجثث لم يعثروا عليها، ربما كانت مطمورة في مقابر جماعية لم يتم فتحها بعد."

س: كم هي أعمار أولادك؟

ج: "رنا البكر في الخامسة، ومصطفى في الرابعة، والطفل مروان في الشهر العاشر. زوجتي في الثالثة والعشرين. الولدان الكبيران كانا يذهبان إلى المدرسة، وما زال دفترا علاماتهما معي. كانا مجتهدين وكنت أساعدهما عند المساء في البيت. كنت أمزح مع مصطفى وأقول له إنه لا يجيد القراءة من دون الصور، فيروح يبذل الجهد ليبرهن العكس. مروان الصغير كان ناعماً، يوقظني كل صباح إذ يضع يده في شعري. لا أصدق أني لن أراهم بعد اليوم. كنت سعيداً مع زوجتي."

س: ماذا تنوي أن تفعل الآن؟

ج: "لا أعرف. أمضيت كل عمري في شاتيلا؛ كبرت هنا، وتزوجت هنا، وخسرت كل شيء هنا."

س: أين أصبت؟

ج: "تلقيت خمس رصاصات في يدي. إنها من النوع المتفجر الذي كشف لي عظامي. لديّ جرح في أسفل ظهري، وآخر في رئتي. ولا تزال الرصاصة فيها على كل حال، إذ لا يمكنهم استخراجها. كذلك هناك رصاصة في رجلي، وأُخرى في فخذي. نحو عشر رصاصات في الجهة اليمنى من كتفي إلى كاحلي. ما أنقذني أني كنت الأخير في الصف والرصاص لم يصب سوى الجهة اليمنى من جسمي."

س: هل بقيت في شاتيلا خلال الحرب؟

ج: "التجأت إلى مكان آخر، ثم عدت منذ وقت قريب لاعتقادي أن الأمور انتظمت. لم أفكر في إمكان دخول الإسرائيليين (بيروت الغربية) ومعهم رجال في قلبهم كل هذا الحقد، حتى أنهم يقتلون الأطفال. لم نتخيل أن الإسرائيليين سيدخلون المخيم. كان هناك ضمانات أميركية وعربية ولبنانية. كان الجيش اللبناني يسيطر على المدينة، ولم نفكر في أنهم سيدخلون."

س: من ارتكب المجازر بحسب رأيك؟

ج: "كل ما أعرفه أن الجيش الإسرائيلي أتى بهم، وأن لهجتهم لبنانية ويرتدون بزات عسكرية."

منير في الثالثة عشرة من العمر، وهو الوحيد الناجي من عائلته، يحكي:

"بعد ظهر الخميس وقع الكثير من القصف ونزلنا إلى الملجأ. كنت مع أهلي، وكان هناك أيضاً خالي وأولاده العشرة وجارنا وأولاده. كما كان في الملجأ الكثير من الناس، وخصوصاً من النساء والأطفال. وصل المسلحون وأرغمونا على الخروج، وأمروا الرجال بالوقوف صفاً إلى الحائط وأطلقوا النار عليهم ثم اقتادونا نحن الأولاد والنساء إلى دولشي.* هناك وقع اشتباك مسلح. استبدت نوبة جنون بأحدهم فراح يصرخ: "قتلوا أخي، أصابوا أخي!" وبدأ يطلق النار علينا. أصيبت أمي وأخي وإخواتي، وأنا أصبت في رجلي ولامست إحدى الرصاصات رأسي من دون أن تجرحني."

س: ما عدد أفراد عائلتك؟

ج: "أبي وأمي وأخواتي الثلاث، الكبرى بينهن كانت في السادسة، إضافة إلى خالي وزوجته وأولاده العشرة."

س: ماذا جرى لهم؟

ج: "قتل أبي رمياً بالرصاص. أمي أصيبت بالقرب مني ومن أخواتي. ثم قال لنا المسلحون: (سنأخذ الجرحى إلى المستشفى، إنهضوا). أنا كنت مصاباً وكذلك أمي. قلت لها ألاّ تصدقهم وأن تبقى ممددة. لكن عندما رأت الآخرين ينهضون وقفت بدورها. وضعوهم أمام الحائط وأطلقوا عليهم النار."

س: وشقيقاتك؟

ج: "واحدة كانت تعلق قرطين في أذنيها، فسألوها إن كانا من الذهب أو من النحاس. فقالت إنهما من النحاس. غضبوا وقالوا لها: (يا بنت الـ...، هذا نحاس؟) ثم أمروها بأن تغمض عينيها وانتزعوا القرطين وقتلوها على الفور. أبناء خالي قتلوا مع أولاد آخرين كانوا بصحبتنا. سمعتهم يقولون: (هؤلاء عندما يكبرون سيصبحون مقاتلين، يجب قتلهم). وقتلوهم."

س: وأنت؟

ج: "أنا؟ تظاهرت بالموت ثم غادروا ونمت. عادوا، وفي يد أحدهم مصباح كهربائي. انتبه إلى أني ما زلت أتنفس فأطلق النار عليّ من جديد. صوّب نحو رأسي. كنت أضع يدي على خدي فقطعت الرصاصة إصبعي ولم تصب رأسي. بقيت طوال الليل هناك، في بركة من الدم. عادوا صباح اليوم التالي وقال أحدهم: (أنظروا، هذا لا

(*) محل سمانة في الشارع الرئيسي للمخيم.

يـزال حيـاً، إنـه يرتجـف) . فـأطلق رصاصـتين علـيّ، واحـدة أصـابت الأرض والثـانيـة أصابت ذراعي. تظاهرت بالموت. أراد أحدهم إطلاق رصاصة ثالثة عليّ لكن صديقه قال له: (انتهى أمره، لقد مات) . بعد ذهابهم اختبأت في أحد المنازل الفارغة. نزعت ثيابي المملوءة دماً وارتديت ثياباً غيرها وجدتها هناك. هم كانوا مشغولين بسرقة السيارات في الجوار. بقيت داخل البيت أنتظر أن يخف ألمي ويتوقف النزف، وفجأة دخلوا المنزل حيث كنت أختبئ وقالوا لي: (ما زلت هنا؟ سنقتلك) . حملوا بنادقهم لكن أحدهم قال: (دعوني أطرح عليه سؤالاً: هل أنت لبناني أم فلسطيني؟) فأجبته بأنني لبناني. عندها طلب مني أن أبقى في الغرفة. عندما رحلوا فررت عبر الأزقة. أعرف الأزقة وأعرف أنها توصل إلى القرب من بيت خالي. هناك التقيت شاباً أعرفه فحملني إلى سينما الشرق، ومن هناك نقلتني سيارة إلى مستشفى غزة."

س: هل سمعت شيئاً أو لاحظت شيئاً في أثناء اختبائك؟

ج: "نعم، سمعتهم يقولون: (يا للرائحة الكريهة، إنها رائحة الجثث...) . كما سمعت أصوات دبابات أو جرافات، لا أعرف، من جهة السفارة الكويتية."

منير ضعيف جداً، وقد فقد الكثير من الدم ويعاني جرّاء إصاباته. صوته لا يكاد يسمع، وأفضل ألاّ أتسبب له بالمزيد من التعب.

أم حسين تحمل بين ذراعيها طفلاً هزيلاً يبلغ من العمر شهرين، وهي تقيم مع أولادها بإحدى قاعات الصف في مدرسة ثانوية في "بيروت الغربية". هكذا تعيش مئات العائلات من صبرا وشاتيلا في مدارس تحولت بصورة طارئة إلى مراكز إسعاف. أم حسين فقدت زوجها واثنين من أولادها في المجازر، وقد دمرت الجرافات بيتها.

س: هل أنت فلسطينية؟

ج: "أنا من فلسطينيي الـ 48 وأقيم بشاتيلا منذ خمسة أعوام، كنت قبلها أسكن قرب المدينة الرياضية."

س: متى غادرت شاتيلا؟

ج: "يوم الخميس حلقت الطائرات فوق بيروت وأحدثت أصواتاً رهيبة. طوقوا المخيم وبدأت دباباتهم تقصفنا. نحو السادسة عنف القصف. اختبأنا في الملجأ مع الجيران. بعد ذلك وصل نحو ثلاثين مسلحاً وبدأوا بقتل الناس. هرعنا للاختباء. كنا نغلق الباب لمّا دخلوا علينا قائلين: (تغلقون الباب في وجهنا؟ هل تعتقدون أنكم قادرون على الاختباء؟) أوقفونا صفاً إلى الجدار، وفصلوا النساء عن الرجال، ثم قتلوا الرجال أمام أعيننا. كان بينهم زوجي حامد مصطفى في السابعة والأربعين، وابني

حسين في الخامسة عشرة، وحسان في الرابعة عشرة. كان بينهم أيضاً ابن جارتنا وشقيقها وغيرهما. سبعة رجال قتلوهم وكوموهم أمام البيت. ثم أفرغوا جيوبهم وسرقوا ساعاتهم وكل ما كانوا يحملونه. حفروا حفرة ودفنوهم."

س: كيف حفروا الحفرة؟

ج: "بالجرافات. أعارهم الإسرائيليون جرافات وأناروا لهم المخيم طوال الليل وأمنوا لهم الطعام."

س: وماذا فعلوا بكم أنتم النساء والأطفال؟

ج: "اقتادونا إلى جوار المدينة الرياضية، حيث أجبرونا على تمضية الليل، على الرمل من دون أغطية. كان هناك كتائبيون وإسرائيليون. كانوا يطرحون علينا الأسئلة بين الحين والآخر: (ماذا يعمل زوجك؟ أين زوجك؟) فكنت أجيبهم بأنهم قتلوه مع الآخرين عند البيت. (وأولادك؟) أولادي قُتلوا أيضاً. لم يبق سوى بناتي الثلاث، والأربعة الصغار. ها هو الصغير، عمره شهران، ألا تريدون أن تقتلوه أيضاً؟"

س: ألم يكن في حيازتكم أسلحة للدفاع عن أنفسكم في المخيم؟

ج: "أُخرجت الأسلحة من المخيم، وتم إجلاء المقاتلين. تركونا من دون سلاح ولا دفاع. حُكي عن ضمانات بأن أحداً لن يتعرض لنا، لكنهم كذبوا."

س: من هم؟

ج: "الأميركيون والأوروبيون والعرب."

س: لماذا لم تغادروا؟ لماذا لم تفروا عند وصول الجيش الإسرائيلي؟

ج: "عندما أُعلن مقتل بشير الجميل اختار البعض الفرار من المخيم. خافوا حدوث شيء ما. نحن كنا عدنا للإقامة بالمخيم منذ وقت قصير، منذ أسبوع فقط. كنا أمضينا حصار بيروت الذي دام ثلاثة أشهر في هذه المدرسة نفسها. على كل حال ولد طفلي هنا، في هذا الصف حيث لا ماء ولا مطبخ ولا حمام. كنا سعداء بالعودة إلى بيتنا في شاتيلا بعد توقف القصف. لم نكن نريد التشرد من جديد في شوارع بيروت بحثاً عن ملجأ. فبقينا لاعتقادنا أن الجيش الإسرائيلي لن يتعرض لنا كوننا بلا سلاح، وكون المخيم خالياً من المقاتلين. من ثم لم نفكر في أنهم سيجعلوننا ندفع ثمن اغتيال بشير الجميل. في النهاية ليس الفلسطينيون هم من قتله. إنها مسألة فيما بينهم، تشاجروا وقتلوه، فأين مسؤوليتنا؟ سلّمنا أسلحتنا ووضعنا ثقتنا في السلطات اللبنانية. وقّع أبو عمار اتفاقاً مع الحكومة بأن لا أحد يمس المخيمات بعد مغادرة المقاتلين. وثقنا بهم فماذا كانت النتيجة؟ لقد خانونا. قتلوا حتى النساء والأطفال. رأيت بأم عيني

طفلاً لا يتجاوز عمره العام الواحد بين ذراعي والدته. كانت ميتة وهو يبكي بلا توقف، فأطلقوا عليه النار لكنه لم يمت. عندها ثارت ثائرة أحد المسلحين فانتزعه من أمه القتيلة وهو يدّعي نقله إلى المستشفى. لكنه خنقه في مكان ليس بعيداً ورماه على الرمل. رأيته مرمياً أرضاً وأنا أمر هناك. رأيت أيضاً في الطريق امرأة مقيدة اليدين ربما تعرضت للاغتصاب. كانت ثيابها ممزقة ولا بد من أنها جرجرت طويلاً مع الحبل قبل أن تقتل بضربة فأس. كان مشهداً لا يحتمل."

س: كيف خرجت في نهاية المطاف؟

ج: "بعد ليلة أمضيناها بالقرب من المدينة الرياضية أمرونا بالسير على الطريق، وكانوا يعرفون أنها مزروعة ألغاماً، وأرادوا أن نفجر هذه الألغام عندما نسير فوقها. لكننا حاذرنا الدوس على الشرائط. ثم تركونا نذهب فحاولنا الاختباء في بناية في الفاكهاني، لكن سكانها من اللبنانيين خافوا ورجونا أن نغادر. فمشينا وأوقفنا سيارة أقلتنا إلى حديقة الصنايع حيث التقطنا الصليب الأحمر الدولي ليعيدنا إلى هذه المدرسة التي كنا لجأنا إليها في تموز/يوليو خلال قصف بيروت.

"هذه حياتي من نزوح إلى نزوح. لكني اليوم هنا من دون زوجي وأبنائي. لديّ ثمانية أولاد. ماذا أفعل بهم؟ ليس لديّ من يساعدني. هُدم بيتي. إلى أين أذهب؟ هذا ما تريده أميركا؟ هذا ما تريده إسرائيل؟ وهل الدول العربية موافقة على ذلك؟ لقد أبعدوا مقاتلينا وقتلوا رجالنا، ماذا يريدون منا أيضاً؟"

س: من أين أنت؟ هل لديك أقارب في لبنان؟

ج: "أنا من اعبلين، في منطقة حيفا. غادرت قريتي سنة 1948. لديّ شقيق في لبنان لكنه اعتبر مفقوداً منذ بداية الحرب هو وعائلته، ولم أسمع عنهم شيئاً. كانوا يسكنون في الجية."

س: طفلك شاحب اللون...

ج: "وكيف لا يكون شاحب اللون. ولد هنا في أثناء حصار بيروت، ومنذ ذلك التاريخ لم يعش حياة طبيعية. وأنا مع كل ما أصابني ليس في صدري ما يكفي من حليب، ولا مال لديّ لأخذه عند الطبيب."

غادرتها متمنية الصحة لطفلها، فأجابتني:

– "ولماذا تريدينه أن يعيش؟ كي يقتلوه عندما يصبح في العشرين؟"

في صبرا وشاتيلا
من الأربعاء 15 إلى السبت 19 أيلول/سبتمبر 1982

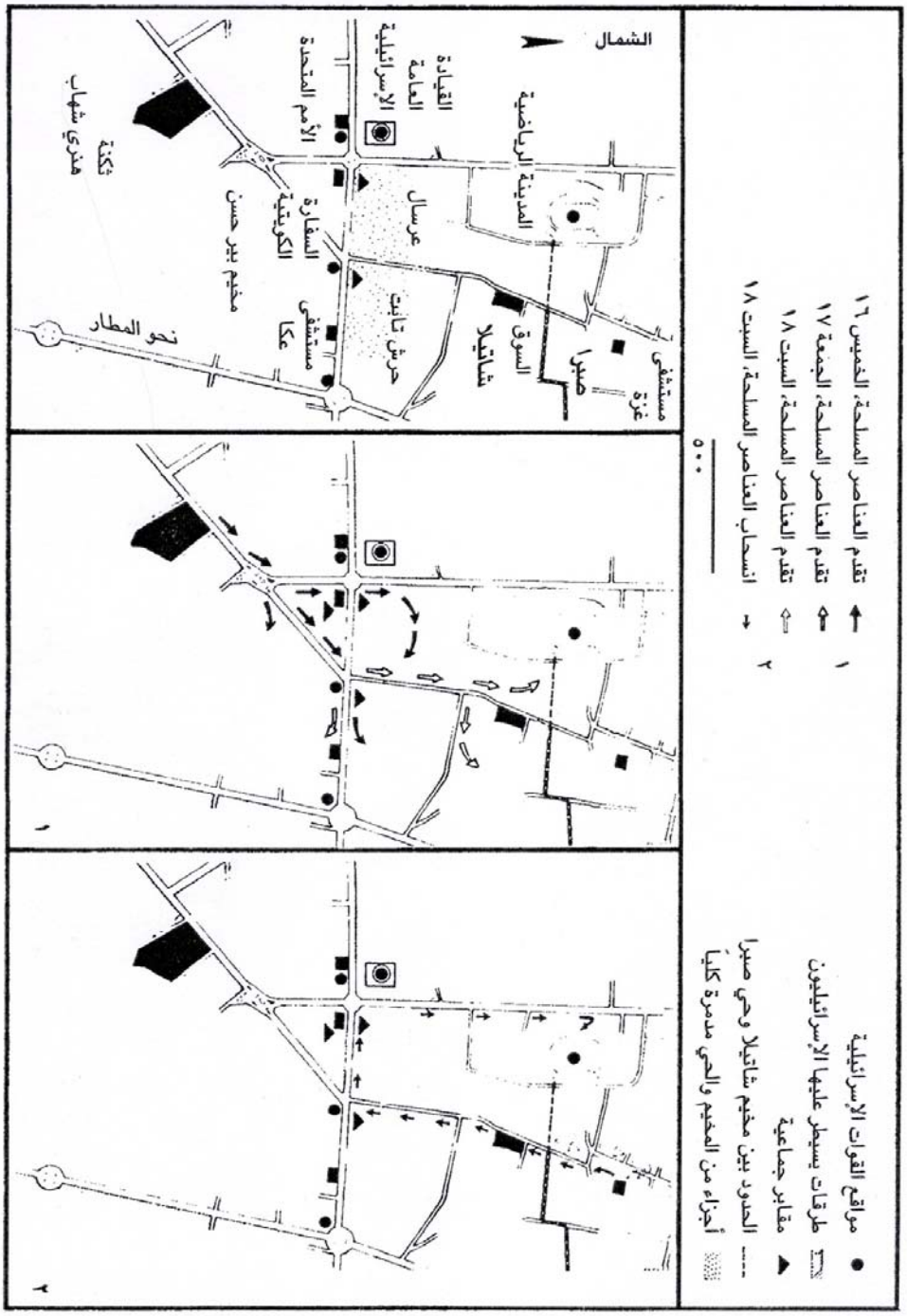

الأربعاء 15 أيلول/سبتمبر

الخامسة صباحاً: طائرات الفانتوم الإسرائيلية تخترق جدار الصوت فوق بيروت وتعلن بشكل صارخ بداية خرق اتفاقات فيليب حبيب التي ضمنت عدم دخول الجيش الإسرائيلي "بيروت الغربية".

السابعة صباحاً: الجيش الإسرائيلي يتقدم على أربعة محاور:

– من المطار إلى مستديرة شاتيلا

– من السفارة الكويتية نحو الفاكهاني

– من المرفأ نحو فندق النورماندي

– من المتحف في اتجاه كورنيش المزرعة

أمّا الحجة التي تذرع بها الإسرائيليون فهي حماية السكان في "بيروت الغربية" من أعمال انتقامية محتملة تقوم بها الميليشيات [....] بعد اغتيال بشير الجميل.

السادسة عصراً: الدبابات الإسرائيلية تتمركز عند المفارق الرئيسية كما تطوق [....] صبرا وشاتيلا من الجنوب والغرب والشرق. الجهة الرابعة هي جهة حي الفاكهاني. أقام الجيش الإسرائيلي مقر قيادته في بناية من ثماني طبقات على بعد خمسين متراً من المخيم؟

الخميس 16 أيلول/سبتمبر

الخامسة صباحاً: الطائرات الإسرائيلية تحلق مجدداً في سماء "بيروت الغربية" فتلقي الرعب في نفوس السكان.

السابعة صباحاً: الدبابات الإسرائيلية تتقدم في راس بيروت والحمرا والمزرعة، وقد لقيت مقاومة شرسة من مقاتلي الحركة الوطنية في بعض النقاط. بدأت القذائف الأولى تتساقط فوق صبرا وشاتيلا المحاصرين منذ الأمس، وكانت تطلقها الدبابات المتمركزة في التلال المطلة على المنطقة. يراقب الإسرائيليون المخيم المنبسط أمامهم من مركز قيادتهم في أعلى الطبقات الثماني من المبنى القريب من السفارة الكويتية.

سكان المخيم يختبئون في منازلهم. عقد اجتماع ضم الشيوخ والوجهاء في المخيم وقرر هؤلاء "الحكماء" إرسال وفد إلى الجيش الإسرائيلي ليوضح له أنه لم يعد هناك من مقاتلين في المخيمات، وأن في إمكان الجنود الإسرائيليين التأكد من ذلك بأنفسهم، وأنه لم يبق سوى المدنيين وأكثريتهم من الشيوخ والنساء والأطفال. وقد ضم الوفد أربعة رجال طاعنين في السن، وتوجهوا إلى السفارة الكويتية. لم يرهم أحد بعد تلك الساعة. وجدت جثثهم بعد أيام بالقرب من السفارة. إنهم: أبو محمد البرواني،

60 عاماً؛ أحمد حشمه، 64 عاماً؛ أبو أحمد سعيد، 65 عاماً؛ أبو سويد، 62 عاماً.

الثالثة بعد الظهر: تكثيف القصف على صبرا وشاتيلا، والسكان ينزلون إلى الملاجئ. في بعض الملاجئ يتكدس أكثر من 300 شخص، والبعض الآخر يلجأ إلى مستشفى عكا.

الخامسة بعد الظهر: ازدياد القصف. في مستشفى عكا اقترح أحدهم إرسال وفد من النساء والأطفال. لم يكونوا على علم بالمبادرة السابقة، ولا بمصير الوفد. هذا الوفد قاده سعيد، العامل المصري في محطة الوقود، ومعه نحو خمسين امرأة وطفلاً يحملون العلم الأبيض متجهين إلى مركز القيادة الإسرائيلية. هؤلاء أيضاً لم يعودوا.

الخامسة والدقيقة الثلاثون بعد الظهر: شاحنات وسيارات جيب محملة بالمسلحين في الزي العسكري تمر أمام ثكنة هنري شهاب التي يسيطر عليها الجيش اللبناني. يتجهون نحو المخيم، وسرعان ما يلاحظهم اللاجئون الفلسطينيون المقيمون ببير حسن والذين ارتعبوا من رؤيتهم وطلبوا تفسيرات من المركز العسكري الإسرائيلي، فقيل لهم إن لا داعي للقلق، وأن عليهم العودة إلى منازلهم. لم يطمئنوا وفضلوا تمضية الليل في بناية مهجورة غير بعيدة.

السادسة عصراً: العناصر المسلحة الأولى تتسلل إلى حي عرسال جنوبي المدينة الرياضية. إنهم مسلحون بالفؤوس والسكاكين، يدخلون البيوت ويقتلون من يجدون داخلها. لا يسمع إطلاق نار. السكان لا يجرؤون على الخروج من بيوتهم، أو من الملاجئ، بسبب الرشقات المتفرقة والقصف. العناصر المسلحة تتقدم ببطء زارعة الموت وراءها. اجتازت الشارع الرئيسي ودخلت حرج تابت. أجبرت الناس على الخروج من الملاجئ، وفصلت الرجال عن النساء والأطفال. أوقفت الضحايا صفاً على امتداد الجدران وأطلقت النار عليهم.

الثامنة مساء: أرخى الليل سدوله، والسماء بيضاء بسبب مئات القنابل المضيئة (ثلاث قنابل في الدقيقة كما أكد أحد الإسرائيليين في وقت لاحق). تسمع رشقات غامضة المصدر، لكن لا أحد يجرؤ على الخروج. القناصة يطلقون النار على كل شيء يتحرك. وحدهم الجرحى يحاولون الوصول إلى مستشفى عكا قبالة حرج تابت.

وصل الجرحى في الليل ورووا أن ثمة مجزرة في المخيم. وهم، في معظمهم، مصابون برصاص أُطلق عليهم عن قرب. في هذه الأثناء يتدفق الجرحى بالعشرات على مستشفى غزة ويخبرون كيف أن المسلحين اللبنانيين يقتلون المدنيين، رجالاً ونساء وأطفالاً. تقول الطبيبة السنغافورية سوي شاي آنج إن نحو ثلاثين جريحاً قضوا قبل التمكن من إسعافهم. تم إسعاف أكثر من مئة، وأجريت لبعضهم عمليات

جراحية في المستشفى. وقد أُرسل آخرون إلى مستشفى المقاصد. طوال الليل وبلا كلل، واصل الفريق الطبي في مستشفى غزة الاهتمام بالجرحى الذين كانوا يصلون في موجات متتالية. من جهة أُخرى امتلأ المستشفى باللاجئين الفارين من المجازر. كان هناك نحو ألفين منهم مكدسين في الممرات، وفي الطبقة السفلية، وعند المدخل.

الجمعة 17 أيلول/سبتمبر

الخامسة صباحاً: عند الفجر عاد إلى مستشفى عكا بعض النسوة اللواتي كن في عداد الوفد، وكانت شعورهن منفوشة وثيابهن ممزقة بعد أن تعرضن للاغتصاب. وقد قتل العدد الأكبر منهن أمام السفارة الكويتية على يد مسلحين لبنانيين. فرغ المستشفى في لحظات، إذ فر من لجأ إليه، ولم يبق سوى الأطباء والممرضين وعدد من الجرحى.

الثامنة والدقيقة الثلاثون صباحاً: قُتلت ثلاث نساء أمام مستشفى عكا. إحداهن جرّت نفسها إلى المستشفى وقام الممرضون، تحت وابل من الرصاص، بسحب الجثث من الشارع.

الحادية عشرة ظهراً: نادى اثنان من المسلحين، قالا أنهما كتائبيان، على المساعِدة الاجتماعية النرويجية آن سوندي، وأمروها بإخراج جميع الأجانب العاملين في مستشفى عكا. فتم بالقوة جمع الفريق الطبي الأجنبي بأكمله: فرنسيين وفيليبينية ونرويجية ومصري وفنلندية وسريلانكية، وإجباره على السير حتى مدخل شاتيلا. رافقه أيضاً طبيب الأطفال الفلسطيني، سامي الخطيب، وبقيت في المستشفى ممرضة نرويجية وأُخرى أسترالية للاهتمام بخمسة أطفال رضّع مصابين بالشلل. عند مدخل المخيم، كان السكرتير الأول في السفارة النرويجية ينتظرهم، فاصطحب معه في السيارة حاملي الجنسية النرويجية، وقصد المستشفى لجلب الأطفال. تم إطلاق سائر أعضاء الفريق الطبي باستثناء الطبيب سامي الخطيب، الذي أعيد إلى المستشفى حيث أُعدم مع طبيب فلسطيني آخر بقي في المستشفى هو الطبيب علي عثمان. ومن الضحايا الآخرين ممرضة فلسطينية في العشرين من عمرها هي انتصار إسماعيل التي اغتصبت وقتلت، وكذلك الطباخ الفلسطيني الذي قتل مع موظفين آخرين.

بعد مغادرة الأطباء دخل المسلحون المستشفى وراحوا يستجوبون الجرحى. اقتيد جريح شاب في الخامسة عشرة من العمر، هو مفيد أسعد، إلى خارج المستشفى حيث أُطلقت عليه رصاصة أصابته في عنقه وضرب بالفأس. ولم يتم التعرض للجرحى اللبنانيين.

في هذه الأثناء كانت المجزرة مستمرة داخل المخيم حيث تمت تصفية عائلات

بكامل أفرادها من دون تمييز. وكان بينها عدة عائلات لبنانية. فعائلة المقداد اللبنانية من البقاع فقدت 39 من أفرادها، معظمهم من النساء والأطفال، وبينهم نساء حوامل: زينب المقداد كانت في الشهر الثامن من حملها، وإلهام المقداد في الشهر التاسع، ووفاء المقداد في الشهر السابع. كما وجدت ثلاث نساء دون الثلاثين من العمر مقطعات، وقد بقرت بطونهن وأُخرجت الأجنة ورمي بها بالقرب منهن. زينب أم لستة أولاد، ووفاء أم لأربعة. أمّا ابنة إلهام البالغة من العمر سبعة أعوام، فقد تعرضت للاغتصاب قبل قتلها.

تمت، بكل وحشية، تصفية المحتمين ببعض الملاجئ التي احتشد فيها نحو مئتي شخص، كما جردوا مما في الجيوب ومن الساعات والقلائد والعقود وأقراط الآذان.

وبدأت الجرافات بالعمل: تحمل الجثث وترميها في مقابر جماعية تم حفرها لهذا الغرض، أو تهدم المباني لدفن الجثث تحت ركامها.

الثانية عشرة ظهراً: نجح مدير الهلال الأحمر الفلسطيني في الاتصال بمركز الصليب الأحمر الدولي في شارع الحمرا، وطلب تأمين الحماية لمستشفى غزة وللمدنيين المحتمين به، كما طالب بفريق طبي بديل من الفريق الذي أنهكه العمل المتواصل طوال 42 ساعة. لكن لم يكن هناك أي استجابة لا من الصليب الأحمر، ولا من مستشفى المقاصد الذي تم الاتصال به أيضاً، وذلك خوفاً من القذائف التي كان الإسرائيليون لا يزالون يسقطونها على تلك الطريق. عاد الهلال الأحمر الفلسطيني وحده إلى المستشفى وقرر إجلاء اللاجئين والعاملين الفلسطينيين في عداد الفريق الطبي. وهكذا لم يبق في المستشفى سوى الجرحى والعاملين الأجانب، أي نحو عشرين بين أطباء وممرضين.

الثانية بعد الظهر: انتقل الصليب الأحمر الدولي، بعد أن بلّغه الفريق الطبي الأجنبي ما يحدث، إلى المكان ليجد جثث العاملين والجرحى الذين تمت تصفيتهم. فنقل من تبقى من الجرحى إلى مستشفيات أُخرى في بيروت.

الخامسة بعد الظهر: سيارات الإسعاف التابعة للصليب الأحمر الدولي تدخل مخيم شاتيلا جالبة المساعدة للفريق الطبي في مستشفى غزة (طبيبان وممرضان)، إضافة إلى الأغذية والأغطية.

أخرجت معها الجرحى الذين في حالة الخطر. وقد حاول بعض النساء عبثاً تسليمهم بعض الأطفال، لكن الإجلاء لم يطل سوى الجرحى.

الثامنة مساء: أرخى الليل سدوله والقنابل المضيئة تنير السماء من جديد. "بيروت الغربية" بأكملها باتت تحت السيطرة الإسرائيلية. السيارات المدنية التابعة لأجهزة

الاستخبارات الإسرائيلية تجوب المدينة، وقد قامت بالعشرات من عمليات الاعتقال. لا تواصُل عملياً بين الضاحية الجنوبية حيث المخيمات وبين سائر أنحاء المدينة. والحواجز الإسرائيلية تردّ كل من تجرأ على العبور إلى تلك النواحي على أعقابه. بدأت أخبار المجازر تنتشر، لكن لم يكن هناك إمكان للتأكد منها.

السبت 18 أيلول/سبتمبر

السادسة والدقيقة الثلاثون صباحاً: اقتحم أفراد الميليشيا مستشفى غزة وأمروا الفريق الطبي الأجنبي بالمغادرة. فاقتيد جميع الأطباء والممرضين (سويديان، فنلندي، دانماركي، أربعة ألمان، ثلاثة هولنديين، أربعة بريطانيين، أميركيان، إيرلندية، فرنسية) إلى مدخل مخيم شاتيلا. حاول أحد التقنيين الفلسطينيين العاملين في المختبر مرافقتهم، لكنه أُوقف واقتيد خلف أحد الجدران، ثم سمع صوت طلق ناري بعد فترة. في اليوم التالي وُجدت جثته في المكان نفسه. يؤكد الطبيب بيير ميشلومشاغن، الاختصاصي النرويجي بتقويم الأعضاء: "رأينا الجرافات تدمر البيوت وتدفن الجثث تحت الركام."

يقول الجراح البريطاني بول موريس إن من المستحيل عدم رؤية ما كان يحدث في المخيم من مركز القيادة الإسرائيلي.

اقتيدت المجموعة بأكملها إلى مركز تجمع القوى المهاجمة في مبنى الأمم المتحدة بالقرب من السفارة الكويتية، حيث أخضع أفرادها للاستجواب قبل أن يُسلَّموا للإسرائيليين. تصرف معهم هؤلاء بطريقة جيدة، وأكدوا عدم معرفتهم بما يجري. استفاد الأطباء من ذلك للمطالبة بالعودة إلى المستشفى لتقديم العون إلى مرضاهم، فمُنحوا إجازة مرور مكتوبة بالعبرية. وإزاء دهشتهم أكد لهم الضابط الإسرائيلي أن هذه الإجازة صالحة لدى الميليشيات اللبنانية. عاد أحد الأطباء وأحد الممرضين إلى المستشفى، بينما نقل الآخرون بسيارات جيب إلى السفارة الأميركية.

السابعة صباحاً: بدأ المسلحون إفراغ مخيم شاتيلا وحي صبرا ممن تبقى فيهما من السكان. في الليلة السابقة كانت مجموعة من الرجال حاولت يائسة الدفاع عند مدخل صبرا لجهة سينما الشرق، وأوقفوا تقدم عناصر الميليشيا عند السوق. كانت مكبرات الصوت تدعو العائلات إلى الخروج من منازلها والتجمع في الشارع الرئيسي. فيخرج المدنيون في هذا الحي، بأغلبيتهم، يلوحون بالأعلام البيض لاعتقادهم أنهم يواجهون الجيش الإسرائيلي. هكذا وصل إلى الشارع الرئيسي الذي يجتاز الحي ما بين ألفين وثلاثة آلاف شخص ليكتشفوا أنهم أمام ميليشيات لبنانية تابعة لحزب الكتائب أو لسعد حداد. كذلك شاهدوا الجثث المرمية في الشوارع والتي لا تحُصى. لكنهم لم

يعودوا قادرين على التراجع. كان بينهم عائلات لبنانية أبدت اعتراضها لكنها أُسكتت بفظاظة. ثم اقتيد الجميع في صفوف نحو المدخل الجنوبي لمخيم شاتيلا. اكتشفوا المقابر الجماعية على امتداد الشارع الرئيسي والشوارع المتفرعة منه. وفي منتصف الطريق، فصلوا الرجال عن النساء والأطفال فبدأت النساء يولولن، لكن عدة رشقات أسكتتهن. المسيرة تتقدم، لكن من وقت إلى آخر يتم اقتياد بعض الرجال أمام أحد الجدران وتطلق النار عليهم. الجرافات تعمل. بضربة واحدة تنهار أعمدة المبنى فيسقط الركام ليدفن الجثث تحته. بالقرب من السفارة الكويتية ومقر القيادة الإسرائيلية أزيلت البيوت، ولم يبق سوى مقبرتين جماعيتين على جانبي الطريق. من هناك أُعطي الأمر بالتقدم نحو المدينة الرياضية. لا للجميع، إذ تم اختيار بعض الرجال وأُصعدوا إلى شاحنتين متوقفتين أمام السفارة الكويتية. لا مكان للجميع، فطُلب من الفائض الانبطاح أرضاً وعدم النظر في الاتجاه الذي سلكته الشاحنتان. ثم طلب منهم الالتحاق بالبقية في المدينة الرياضية، وقد تعرضوا في الطريق للضرب والإهانات على أنواعها. انفجر بعض الألغام (أو القنابل الانشطارية) في الطريق فأوقع قتلى وجرحى، واستغل آخرون الفرصة للفرار. ابتداء من المستديرة الواقعة بالقرب من السفارة الكويتية، تسلم الجيش الإسرائيلي الأسرى واقتادهم إلى المدينة الرياضية حيث تم فرز اللبنانيين من الفلسطينيين. اقتيد الشبان الفلسطينيون إلى الغرف الموجودة تحت المدرجات، وبقي مصير الكثير منهم مجهولاً. بعد أيام وجد المسعفون جثثاً لا يمكن التعرف على أصحابها المقيدين من أيديهم وأرجلهم، وهي في حالة تحلل متقدم. وقد أمكن التعرف على بعضهم من خلال ثيابهم. وتعرف أطباء مستشفى غزة على جثة طفل كان في المستشفى حتى يوم الجمعة 17 أيلول/سبتمبر بين الساعة العاشرة والحادية عشرة. وكانت المدينة الرياضية في ذلك الوقت تحت السيطرة الكاملة للجيش الإسرائيلي. أمّا الذين نقلوا بالشاحنات فظل مصيرهم مجهولاً.

يوم السبت

توافد الصحافيون والمصورون. وإذ صدمهم رعب المشهد راحوا يلتقطون صور المجزرة الجماعية وأكوام الجثث المنتفخة والتي تصفر وهي تُشوى تحت أشعة الشمس الحارقة. وكانت آثار تقطيع الأعضاء، والحبال التي قيدتها، والثياب الممزقة، وفروات الرؤوس، وفقأ العيون، تشهد كلها على العنف وأعمال التعذيب التي رافقت المجزرة. حتى الأحصنة أُعدمت. وكانت رائحة لا تطاق تنتشر في المكان، بينما النساء هائمات زائغات بحثاً عن ابن أو زوج أو طفل. كان بعض الجثث مرمياً هناك منذ ثلاثة أيام، والمطلوب عملية دفن بسرعة. لا وقت لعدّ الجثث، أو للتعرف على أصحابها. فشرعت

فرق الإسعاف التابعة لكل من الصليب الأحمر الدولي والصليب الأحمر اللبناني والدفاع المدني والكشاف المسلم والجيش اللبناني، في العمل. تم حفر حفرة كبيرة، وقرئت الفاتحة على عجل فوق أشلاء لم يتم التعرف على أصحابها، وفوق جثث مقطعة ستبقى بلا أسماء إلى الأبد. كم كان عددها؟ لن يُعرف أبداً. لم يحدث أي تنسيق بين فرق الإسعاف. فالهول والخوف جعلا الأمور تجري بأكبر سرعة ممكنة. المشهد لم يكن يطاق.

من جهة أُخرى، كان هناك أولئك الذين لم يُعثر على جثثهم ودفنوا تحت ركام المنازل المدمرة والتي جرفت بواسطة الجرافات التي كانت تدك المخيم، وأولئك الذين رميت جثثهم في مقابر جماعية (ثلاث حفر على الأقل) حفرها مرتكبو المجزرة. بعد ظهر يوم الجمعة كان أحد الصحافيين النرويجيين التقى جرافة تحمل في رفشها كتلة من الجثث. لم تفتح الحفر التي رميت فيها هذه الجثث. وهي قد تبقى مدفونة إلى الأبد تحت البنايات الجديدة التي هي في قيد الإنشاء حالياً في جنوب المخيم. هناك أخيراً أولئك الذين نقلوا بالشاحنات ووُجد قسم من جثثهم بين بيروت والدامور، في الأوزاعي وخلده والناعمة وحارة الناعمة والجية والدامور... وهي أمكنة لم يخاطر المسعفون بالبحث فيها بسبب وجود الجيش الإسرائيلي.

إن أهالي صبرا وشاتيلا مقتنعون بأن عدد الضحايا الحقيقي يصل إلى خمسة آلاف، وإلى سبعة آلاف مع المفقودين.

فهل تصدقونهم على الأقل؟ ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/mdf